

تقرير

رحل آخر زعيم كلاسيكي لمافيا «كورليونوي» التي ألهمت أعمال ماريو بوزو الشهيرة، في مستشفى سجن ميلان عن 83 عاماً. بغياب بيرناردو بروفينزو، ولو رمزياً، مرحلة من مراحل تطور المافيا الإيطالية وتداخلها مع السياسة والاستخبارات وصناعة التاريخ في النصف الثاني من القرن العشرين

بروفينزانو ويرحل من دون أن يتكلم «مافيا كورليونوي» تفقد العرّاب الشبح

لندن - سعيد محمد

بعدهم أتهم بإحدى جرائم القتل في 1963، لكن البوليس الإيطالي أخفق في القبض عليه حتى عام 2006، ما أثار تساؤلات كثيرة في الأوساط الشعبية في صقلية حول الجهة التي قد تكون وفرت له الحماية من

في منتصف الأسبوع الماضي، مات بيرناردو بروفينزانو (1933 - 2016)، وهو آخر عزّابي مافيا كورليونوي الإيطالية، في السجن، في ميلان شمال إيطاليا، عن ثلاثة وثمانين عاماً. كان الكاتب ماريو بوزو قد صاغ ثلاثيته الأشهر في تاريخ أدب المافيا (العزّاب)، التي تحولت إلى أفلام عالمية، مستلهماً نشاط هذه المجموعة الإجرامية التي حكمت جزءاً كبيراً من صقلية فعلياً عبر السنين، برغم تغير الدول والحكومات في روما.

بيرناردو، الدون «الحقيقي» لعصابة كورليونوي، عاش حياة أهم بكثير مما حاولت حتى رواية ماريو بوزو تصويره على أنه سرد سيرة زعيم مافيوي آخر. فالرجل بقي مطارداً لثلاثة وأربعين عاماً وهو لا يزال على رأس عمله، من دون أن تنجح السلطات في القبض عليه، فأطلق عليه لقب «الشبح». ولما قبض عليه في النهاية، تبين أنه كان يعيش ويعمل دوماً في نطاق بقل عن ميل واحد من مكان ولادته في كورليونو. هو اشتهر أولاً بـ«التركتور» لقسوته مع أعدائه، من محققين وصحافيين وضحايا آخرين، وبعد ذلك عرف بـ«المحاسب» لدقته العجيبة في إدارة أموال المجموعة، وخصوصاً عندما تولى قيادة المافيا في الفترة الانتقالية في بداية التسعينيات، أي وقت التحول من نشاط المخدرات وتفاهات جرائم الشارع إلى العمل في النصب على مستوى عال عبر النظام الرأسمالي (جرائم الباقات البيضاء كما تعرف في أوروبا). كاد بيرناردو أن يدفع شر أعماله

من إسقاط الطائرات العسكرية في حوادث غامضة إلى السيارات المفخخة، وذلك في ظل جزء رئيسي من المؤسسة الرسمية الإيطالية. وتقول بعض التقديرات إن «شبكة جلاديو»، في مرحلتها الأولى على الأقل، كانت تضم (في إيطاليا وحدها) ما لا يقل عن ثلاثة ملايين متعاون، وقد خصصت لدعمهم موازنات بمئات ملايين الدولارات.



كان بيرناردو حليفاً للاستخبارات الأميركية في ثمانينيات القرن الماضي



بدأ بيرناردو حياته في عالم الإجرام منذ أيام مراهقته، وهو تورط في أعمال عنف وطاردته عائلات المافيا الأخرى في صقلية، لكنه لم يهرب وأظهر صلابته وشجاعة نادرين أهلتها ليكون ضمن فريق النخبة المحيط بالزعيم لوسيانو ليجيو (شريك الناطو) الذي أدار العصابة، إلى حين اعتقاله عام 1974، ثم نائباً

بدأ بيرناردو حياته في عالم الإجرام منذ أيام مراهقته (أ ف ب)



لخليفة لوسيانو، سيلفاتوري رينزا، الذي قال عن بيرناردو إنه «يطلق النار كإله، لكن مخه صغير كدجاجة». سيلفاتوري وطاقم قيادة المافيا (24 شخصية)، قبض عليهم جميعهم عام 1993 إثر اغتيال النائب الإيطالي العام، جيوفاني فالكوني، الذي كاد أن يكشف كل الأسرار باستثناء سر رجل واحد: بيرناردو.

في حينه، تولى بيرناردو قيادة عمليات العصابة بسرية مطلقة (كانت رسائله تنقل باليد عبر شبكة معقدة وتأخذ يومين على الأقل في الطريق لضمان عدم متابعتها)، فيما اعتبرته الشرطة الإيطالية مسؤولاً عن اغتيال فالكوني، ولاحقاً خلفيته باولو بوسيلينزو، إضافة إلى تفجيرات في أماكن عدة في إيطاليا، وشنت حملة قاسية للبحث عنه وتفكيك منظمته.

استمر بيرناردو في الاختفاء، بل إن محاميه الخاص أعلن قبل شهر من اعتقاله، عام 2006، أن الرجل توفي وأن المحققين يطاردون شبحاً، لكن هؤلاء لم ييأسوا واستمروا في مراقبات لصيقة لكل مساعديه وأيضاً لرفيقته ولأولاده، إلى حين تم رصد حركة مجموعة ثياب نظفت بعناية وأرسلت من المنزل إلى مزرعة خارج البلدة. عندما فتح الباب وامتدت يد لتسلم الثياب، كان رجال الشرطة السرية قد سيطروا على المكان. لم يقاوم بيرناردو، لكنه حذر المحققين من أن اعتقاله سيتسبب بزلزال عنيف: «أنتم لا تدركون ما قد فعلتم!» لكن يبدو أن الاستخبارات الأميركية قررت أن تسكت الرجل إلى الأبد خشية انكشاف أسرار العمليات المشتركة، فدبرت، وفق تكهنات المراقبين، أمر إصابته بفقدان ذاكرة عجيبة، وأعلنت السلطات عن إصابته بالزهايمر، وبالتالي لم يعد ممكناً استنطاقه على نحو موثوق.

وهكذا، لم يحدث أي زلزال ولم تكشف أي ملفات، وبقي الرجل في رعاية أطباء السجن، إلى أن مات في سريره في 13 من الشهر الجاري (من دون أن يدرك ماذا فعلت به الاستخبارات الأميركية؟).

لن يكون لغياب بيرناردو تأثيرات تذكر على المافيا الصقلية، فهو شخصياً خارج الصورة منذ 2006، والمنظمة التي كان زعيمها شهدت تحولات جذرية أضعفتها، إذ تراجعت أهميتها الاستراتيجية في «ثلاثي الظلام» إثر اضمحلال الشكل القديم من عملية «جلاديو» لمصلحة عمليات أكثر تعقيداً، فعدادت أغلب أنشطة المافيا لتقتصر أساساً على جمع الأتاوات مقابل الحماية من العصابات وتهريب الأسلحة وترويج المخدرات والتجارة في البضائع المقلدة، وربما بعض أنواع الدعارة وتهريب البشر، وهي أعمال مربحة من دون شك، لكنها ليست في قلب صناعة الحدث الإيطالي، كما كانت حال المافيا لعقود مضت.

فرنسا

هولاند: الجدل حول «الأمن» لا مكان له

القضاء المكلف النظر في قضايا الإرهاب. وكان البرلمان الفرنسي قد صوت، أول من أمس، على تمديد حال الطوارئ حتى كانون الثاني. ووافق النواب على تعديلات أجراها أعضاء مجلس الشيوخ تحظر التجمعات التي لا يضمن أمنها وتسهل إغلاق أماكن عبادة يجري التحريض فيها على العنف والحقد. لكنهم رفضوا تطبيق نظام إخضاع المدانين في قضايا إرهاب لحجز ومراقبة أمنية. (الأخبار، أ ف ب)



«تقييماً تقنياً» لقوات الشرطة. في المقابل، رأى حزب «الجبهة الوطنية» اليميني المتطرف أن استقالة وزير الداخلية «باتت حتمية». ويعيد هذا الجدل إلى الواجهة الاتهامات التي صدرت عن اليمين واليمين المتطرف بالتساهل، بعد ساعات على وقوع المجزرة، ما انعكس سلبياً على دعوات الحكومة الاشتراكية إلى الوحدة الوطنية. وبشأن التحقيق حول الاعتداء الذي ارتكبه الفرنسي التونسي محمد لحويج بوهلال، أحيل خمسة مشتبه بهم، أمس، على

وكانت صحيفة «ليبراسيون» قد أطلقت الجدل حول مدى متانة الإجراءات الأمنية ليل 14 تموز، إذ أكدت في تقرير نشرته أمس أن «سيارة شرطة بلدية واحدة كانت تقف على الحاجز الفاصل بين الطريق ومنطقة سير المشاة حيث دخل محمد لويج بوهلال بالشاحنة». ورد كازنوف على الفور بغضب بأن «هذا ليس صحيحاً». وطالب رئيس مجلس الشيوخ جيرار لارشيه (يمين) بـ«تحقيق مستقل» حول التدابير الأمنية. وطلب كازنوف من جهته

حاول رئيس الجمهورية الفرنسي، فرانسوا هولاند، التخفيف من حدة الجدل القائم حول مدى متانة الإجراءات الأمنية التي كانت متخذة عشية اعتداء نيس، فيما أطلق وزير الداخلية، برنارد كازنوف، تحقيقاً إدارياً للخروج بتقييم تقني للشرطة وحسم هذا الجدل. وقال هولاند، أمس، من العاصمة الإيرلندية دبلن، إنه «لا مكان للجدل»، وإعاده بتقديم «الحقيقة بشفافية»، وذلك في مؤتمر صحافي مشترك مع رئيس الحكومة الإيرلندي، إيندا كيني.